انقطعت صلته أو انقطعت صلة الرواية به . والخواجا الإنكليزى أو همزة الوصل بين عالم الشيخ علم الدين القديم بالأزهر وعالمه الجديد بأوروبا ممثلة فى مارسيليا وباريس ولندن ، هذا إلى بعض الشخصيات الثانوية التى لعبت دورها فى الإطار الذى رسمه الكاتب لها ، وهو إطار إخبارى لا فنى ، وذلك لأن فكرة الفن لم تخامر - فيما يبدو - كاتبها فى ذلك الوقت، بقدر ما كانت الفكرة المسيطرة عليه هى توظيف شكل من أشكال الكتابة الفنية ، وهى القص لتحقيق غايته من الكتاب ، ومما يدل على غياب الغاية الفنية فى « علم الدين » أن الكاتب نسي أن ينجز الشيخ « علم الدين » تحقيق أو تصحيح الكتاب الذى خرج من بلده ليصححه، وانشغل فى موضوعات المسامرات المزدحمة بالملاحظات والأفكار وشتى المعارف ، بل تركه فى غربته ولم يُعِده إلى وطنه .

والذى يُحمد للكاتب فى هذا الكتاب هو ذلك الأسلوب الراقى السهل العذب الذى خرج فيه تماماً عن لغة عصر الانحطاط المثقلة بالسجع والمحسنات البديعية وزخرفة القول مما كان يثقل الأسلوب ويدلّ على سطحية الفكر ، فجاءت لغة على مبارك شديدة الفصاحة والسهولة خالية من التكلف والتصنع مما يؤكد أن النثر العربى كان قد تحرر من قيود عصر التخلف ، وأن